

شُومُ العَصِيَّةِ

الشيخ السيد طه

الحمد لله رب العالمين .. أنار الطريق لعباده الصالحين فجعل العبيد ملوكا بطاعته، والملوك عبيدا بمعصيته ، فالعز كل العز في طاعته والذل كل الذل في معصيته ، فقال تعالى { **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا (10)** } [فاطر].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير .. حذر من آثار الذنوب فقال تعالى { **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)** } [النحل].

وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله (ﷺ) حذر من الذنوب صغيرها وكبيرها ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): { **إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعودٍ وذا بعودٍ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه** } . [رواه أحمد]

فאלلهم صلي علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
أما بعد .. فيا أيها المؤمنون .

لقد خلق الله تعالى الناس جميعا لغاية عظيمة ومهمة جليلة فقال تعالى { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)** } مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) } [الذاريات] .

وأرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل فقال تعالى { **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165)** } [النساء] .

وقال تعالى أيضا { **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)** } [الأنعام] .

الكون كله من حولنا لهو يسبح بحمد الله عز وجل .. الأنهار والبحار .. النجوم والكواكب .. الذرات والرمال .. الحيوانات والطيور .. ما ندرکه وما لا ندرکه .. ما نبصره وما لا نبصره ..

قال سبحانه: { **تَسْبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)** } [الإسراء]

والمؤمن ينسجم مع الكون في تسبيحه وتحميد الله رب العالمين،: تلك الحلاوة التي يجدها المؤمن في صدره ، وفي توفيق الله عز وجل له في الدنيا إنما هو انسجام بين المؤمن والكون الذي يسبح الله عز وجل ولا يعصيه، لأن الكون يسعد بالمؤمن فهو يعبد الله كما يعبد، ويعظم الله كما يعظمه فهما ينتظمان في حبه وطاعته سبحانه

وتعالى.

هذا الانسجام مع الكون نراه في قول النبي (ﷺ): { **إني لأعلم حجراً بمكة كان يسلم على حين بعثت** } [الطبراني والبخاري]

ولكن سرعان ما ينسى الناس هذه الغاية وتلك المهمة وهذا الطريق فينحرفوا عن الطريق المستقيم فنزل أقدامهم في المعصية مما يؤدي بهم إلي الوقوع في مستنقع الرذيلة وظلام المعصية والهلاك الذي يعم الفرد والمجتمع .

فما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها، ولا تمكنت من قلوب إلا أعمتها، ولا فشت في أمة إلا أدلتها.

لذلك كان حديثنا عن { **شؤم المعصية** } وذلك من خلال هذه العناصر الرئيسية التالية:

1- **الهدف من الحديث عن شؤم المعصية .**

2- **أقسام الذنوب .**

3- **حال السلف مع المعصية .**

4- **أثر المعصية علي الفرد .**

5- **أثر المعصية علي المجتمعات والشعوب .**

6- **علاج الذنوب والمعاصي.**

العنصر الأول : الهدف من الحديث عن شؤم المعصية :

المقصود من الحديث عن شؤم المعصية هو التحذير من مغبة الاسترسال فيها وإطلاق العنان للخوض في حدود الله، وهو من باب قول القائل قديماً: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه .

وهذا كان حال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا يسألون دائماً عن الشر مخافة الوقوع فيه .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال كان الناس يسألون رسول الله (ﷺ) عن

الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني ، فقلت يا رسول الله: إنا كنا في

جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نَعَمْ ، قلت:

وهل بعد ذلك الشر من خير ، قال: " نَعَمْ وفيه دَخَنٌ " ، قلت: وما دخنه؟ قال: { **قوم**

يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ وَتُنْكِرُ } ، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نَعَمْ ،

دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ، قل يا رسول الله صِفْهُمْ لَنَا ،

قال: **هُم مِّنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا** ، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ، قال: **تلتزم**

جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ، قال: " **فاعتزل**

تلك الفرق كُلِّهَا ، ولو أن نَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ {

[رواه الثلاثة]

العنصر الثاني : أقسام الذنوب :

الذنوب تنقسم إلى قسمين: صغائر وكبائر ولقد سمي نبينا الكبائر بالموبقات والمهلكات، وكل ذنب توعد الله مرتكبه بعذاب أو لعن أو حد في الدنيا، ولقد ذكر لنا نبينا (ﷺ) أصناف العذاب المختلفة التي يلقاها مرتكبو الكبائر، كشاربي الخمر ومن يزني ويسرق ويتكبر على الخلق ويعرض عن كتاب الله ودينه.

أما الصغائر فقد حذر منها نبينا إذ يقول {إياكم ومُحَقَّرَاتِ الذنوب، فإنما مثل مُحَقَّرَاتِ الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود وذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن مُحَقَّرَاتِ الذنوب متى يُؤخذ بها صاحبها تهلكه} [رواه أحمد].
ومن رحمة الله تعالى بنا أنه من اجتنب الكبائر غفر له الصغائر، يقول الله تعالى: {إِنْ تَجَنَّبُوا كِتَابَنَا مَا نُتَّهِونَ عَنْهُ نَكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} (31) {النساء}.

ولكن من يستطيع أن يقول: إنه من أهل هذه الآية؟!
فالكذب كبيرة، وكذلك الغيبة، والإصرار على الصغائر والمداومة على فعلها كبيرة.

العنصر الثالث : حال السلف مع المعصية :

كان السلف الصالح يتعاملون مع المعصية بحذر شديد، فعن عبد الله بن مسعود قال : "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا - أي بيده - فذبه عنه "
أما المعصية والعياذ بالله فهي شؤم على صاحبها..

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: {إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، وإن كنا لنعدّها على زمن رسول الله (ﷺ) من الموبقات}.

فكانوا يعلمون علم اليقين شؤم المعصية على القلب والبدن.. لذلك كان الواحد منهم إذا نزل بهم بلاء أو شكوي رجع إلي نفسه وعاد باللائمة عليها ، وقال لا بد أنني قد أذنبت ذنباً، ولا بد أنني قصرت في حق الله تعالى ، لا بد أنني فرطت في جنب الله ،

ظلمت عبداً من عباد الله ضيعت فريضة من فرائض الله ، انتهكت حرمة من حرمان الله تعالى فسرعان ما يرجع إلي ربه، ويقرع باب التوبة مستغفراً يقول ما قاله أبونا آدم وأما حواء حينما أخرجتا من الجنة قال علي { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(23) } {الأعراف}.

هذا شأن المؤمن إذا أصابه خير رد الفضل إلي الله وقال الحمد لله الذي بنعمته الذي تتم الصالحات ، وإذا أصابه شر لم يلم إلا نفسه ولم يتهم إلا نفسه قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79) } {النساء} .

هكذا كان شعورهم ، وهكذا دينهم ، هذا شأن المؤمن أن يرجع كل فضل إلى الله تعالى فهو صاحب الفضل والنعمة {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (53) [النحل] . وكان ابن المبارك يقول: "إني لأرى شؤم معصيتي في سوء خلق امرأتي ودابتي" ، يعني إذا نكدت عليه امرأته أو حرنت عليه دابته يقول لأبد أني قد ارتكبت معصية من المعاصي ، لأن الطائع لربه يرى الكون مُسخرًا له، يَشْعُرُ بتكريم الله له، وتفضيله إِيَّاهُ على خَلْقِهِ.

فالمعصية أضرها خطير وشرها وبيل علي الفرد والمجتمع فالحذر كل الحذر من شؤم المعصية .

العنصر الرابع : أثر المعصية علي الفرد :

إنه ما من شر ولا بلاء ينزل بالناس أفراداً كانوا أو جماعات، إلا وسببه الذنوب والمعاصي، وإن للمعصية آثارًا عظيمة ومخاطر كبيرة علي الفرد منها :

1- حرمان العلم والهداية:

إن من شؤم المعصية علي صاحبها ، نسيان العلم وذهاب الحفظ، ويا لها من عقوبة ما أقساها على أهل العلم وطلبته، وذلك أن العلم نور يقذفه الله في القلوب العامرة بطاعته المنبئية إليه سبحانه، والمعصية ظلمة قد علاها قُتَارُ الشهوات الهوجاء، وأتَى النور أن يَأْسُ بالظلام!!

ولذلك روي أن الإمام الشافعي رحمه الله لما جلس بين يدي إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله ورأى عليه مخايل النجابة والذكاء بادية، وأعجبه وفورُ عقله وكمال حفظه قال له ناصحاً: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية. والشافعي رحمه الله هو القائل في الأبيات التي سارت بين طلبة العلم مسير الشمس:

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعِ سُوءِ حِفْظِي فَأَرْسَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يَهْدِي لِمَعَاصِي

وقد يتساءل إنسان فيقول: إن فلاناً من الناس قد أعطي حفظاً واستحضاراً على فجوره الذي عُرف به في الناس فكيف ذلك!؟

فنقول: اقرأ كتاب الله تعالى تجد الجواب واضحاً، يقول الله عز وجل: {وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاتَّبَعَهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ} (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ.. (176) } [الأعراف].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله معلقاً: "ففي الآية دليل على أنه ليس كل من آتاه الله العلم فقد رفعه به، إنما الرفعة بالعلم درجة فوق مجرد إتيانه".

كم من فاجر كان حظه من العلم قليل وقالوا، ليكون ذلك حجةً عليه عند الله، دون

حقيقة العلم التي تورث الخشية والإنابة.

فيا معشر طلبة العلم، لنتق الله في أعز أيام العمر التي صُرُفت في الحفظ والركض وراء عرائس العلم، أن تذهب بها غوائل المعاصي الجامحة، واعلموا - رحمكم الله - أن سوط العقاب بالمرصاد.

وحرمان الهداية من الله تعالى قال تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) } [الأعراف]

2- الوحشة بين العبد وبين الله تعالى :

من أعظم آثار المعاصي وأخطرها على العبد الوحشة التي تحدثها المعاصي بين العبد وربّه، واستنقال الطاعات، واستمراء الفواحش، واعتياد لها، ويا لها من سكرة ما أشد عماها على القلب إن لم يُمدَّ صاحبها بنفحة من نفحات الرحمة والهداية، فإنه واقع في حُفرة من حفر الشقاء والعذاب الواصب لا محالة.

إن حياة المرء الحقيقية إنما هي حياة الطاعة، وشعور العبد أنه خلع عنه ربقة

العبودية للخلق، وأوى إلى ظلال العبودية الحقّة التي ترفعه عن الطين وجواذبه،

ليحط رحال القلب في ساحات العبودية لله رب العالمين. ولهذا جعل الله الكافر ميتاً غير حي فقال تعالى { أَمْوَتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٌ (21) } [النحل]،

وتأملوا بالمقابل في قول بعض الصالحين المخبتين الذين وجدوا برد الطاعة والإنابة إذ يقول: "إنه لتمرّ بالقلب لحظات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي خير عظيم".

إنّ في الدنيا جنة لا يدخل جنة الآخرة من لم يدخلها، إنها جنة الطاعة والعبودية التي يُحرم منها العصاة الفجرة.

إذا ابتلى العبد بالمعاصي، استوحش قلبه، وضعفت همته وعزمه، وضعفت بأهل

الخير والصلاح صلته، وقسا قلبه، ووهن بدنه، وضعف حفظه واستيعابه، وذهب

حياؤه وغيرته، وضعف في قلبه تعظيم ووقار الرب.

وقد أخبر الله عز وجل عن حال قوم فرعون حين أغرقهم، قائلاً: { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ

السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29) } [الدخان]

إن من قارف المعاصي ولازمها تولد في قلبه الاستنناس بها وقبولها، ولا يزال كذلك

حتى يذهب عنه استقباحها، ثم يبدأ بالمجاهرة بها وإعلانها وغالب هؤلاء لا يعافون .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله (ﷺ) { كل أمّتي معافى إلا

المجاهرون ، وإن من المجاهرة أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح قد ستره ربه،

فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عليه { رواه مسلم}

وهذه المجاهرة موجودة بيننا ولها صور وأشكال. فمن المجاهرة، أن يتحدث التاجر إلى رفاقه بغشه في السلع ويعد ذلك مهارة وكياسة. ومن المجاهرة أن يذكر الماجن مجونه وينشر الفاسق فسوقه، ومن المجاهرة، تلك الصور الفاضحة وتلك الكلمات الخادشة للشرف والفضيلة.

وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: **{ إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الناس. وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الناس }** وقال جل وعز **{ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) }** [النور] قال تعالى: **{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) }** [المطففين]

3- المعصية تورث الذل:

إن المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، فتورثه الذل لا محالة، فإن العز كل العز في طاعة الله قال الله تعالى: **{ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8) }** [المنافقون] أي فيطلبها بطاعة الله، ومن دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك.

وقال الحسن: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه. المعاصي تهون العبد على ربه، فيرفع مهابته من قلوب خلقه قال تعالى **{ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ (18) }** [الحج].

يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

رأيت الذنوب تميت القلوب
وترك الذنوب حياة القلوب
وهل أفسد الدين إلا الملوك
وأحبار سوء ورهبانها

وقد يورث الذل إدمانها
وخير لنفسك عصيانها
وأحبار سوء ورهبانها

ونجد أن المعصية تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، ولهذا كان النبي أغير الخلق على الأمة والله سبحانه أشد غيرة منه قال **{ أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه والله أغير مني }** [رواه البخاري ومسلم].

ومن استحى من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من الله تعالى من معصيته لم يستح الله من عقوبته.

والذنوب تدخل صاحبها تحت لعنة الرسول فإنه لعن على معاصي كثيرة. وتؤدي إلي حرمان دعوة الرسول ودعوة الملائكة، فإن الله أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

4- حرمان الرزق ومحق العمر :-

المعاصي تحقق بركة العمر، فإذا أعرض العبد عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غب إضاعتها يوم يقول: {يا ليتني قدمت لحياتي} فعمر الإنسان هو مدة حياته ولا حياة له إلا بإقباله على ربه والتنعيم بحبه وذكره وإيثار مرضاته.

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)} [الأعراف]

وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)} [المائدة]

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) { لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه }. [أخرجه الحاكم في المستدرك]

وتؤدي إلي ضنك العيش في الدنيا والعمى والحسرة يوم القيامة: قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125)} [طه]

العنصر الخامس : أثر المعصية علي المجتمعات والشعوب :

1- هلاك الأمم والشعوب :

لو تأملنا تاريخ الأمم والشعوب لوجدنا أن المعصية سبب كل بلاء حل بالأمم ، فإن الأمة كالفرد إذا صح إيمانها وابتغت صراط ربها.. أنعم الله عليها..

قال تعالى: { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)} [نوح]

وأما إذا اتبعت الأمة شهواتها وعتت عن أمر ربها فقد جنت على نفسها، فكانت العاقبة حسب الترتيب الإلهي:

كما قال تعالى { فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ(55)} [الزخرف] .

فالله عز وجل لم يهلكهم مرة واحدة وإنما لايد أن تتحقق السنن الكونية في هلاك الأمم الظالمة وهي تتمثل في الآتي :- الإملاء - التزيين - الاستدراج - الأخذ.

الإملاء :

فقال تعالى { وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183) } [الأعراف] .

التريين :

فقال تعالى { أَفَمَنْ رُئِيَ لَهُ سُوءٌ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا (8) } [فاطر].

الاستدراج :

فقال تعالى { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) } [الأعراف] .

الأخذ :

فقال تعالى { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40) } [العنكبوت] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) { إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد } . [رواه البخاري] .

قال تعالى { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102) } [هود] .

وهذا ما بعض ما حكاه القرآن الكريم عن هلاك بعض الأمم السابقة

قال تعالى عن قوم سيدنا نوح عليه السلام { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) } [هود]

وقال تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (8) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (9) } [الطلاق]

وقال تعالى عن ثمود و عاد و فرعون { كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٌ خَاطِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً وَنَعِيهَا أَذُنًى وَاعِيَةً (12) } [الحاقة] .

وقال تعالى عن هلاك القرى الظالمة عامة { وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59) } [الكهف] . أي أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم ولذلك قال الله عز وجل: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُنْرَفِيهَا وَفِي قِرَاءَةِ أَمْرِنَا مُتَرَفِيهَا فَنَقَّسُوا

فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا (16) { [الإسراء] .

ومعنى أمرنا مترفيها أي أن المترفين من أهل الفساد هم الذين يتأمرون على الناس فيشيعون المنكرات والسيئات بين المسلمين، فإذا شاعت المنكرات وسكت الناس عن تغييرها ولم يقوموا بواجبهم في تغيير المنكرات والأمر بالمعروف عمهم الله سبحانه وتعالى بعقاب من عنده، ثم يدعون فلا يستجاب لهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: { وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25) { [الأنفال].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله لينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ويهدم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، وتلك سنة من سنن الله، ثم تلا: { فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(52) { [النمل].

قال ابن عباس: (إذا رأى الناس المظالم ولم يغيروها عمهم الله بعذاب من عنده) ولذلك جاء في الحديث عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: دخل علي رسول الله (ﷺ) ذات يوم فزعاً وهو يقول: { لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بين إصبعيه الإبهام والتي تليها } فقلت - أي تقول أم المؤمنين زينب رضي الله عنها -: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث { [أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما].

2- تسليط الأعداء وذهاب القوة ونزع الهيبة من قلوب الأعداء.

عن عبد الله بن عمر أن النبي (ﷺ) قال: { بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة من الصغار على من خالف أمري، من تشبه بقوم فهو منهم } [رواه أحمد] .

لقد كانت أمة الإسلام في سالف دهرها أمة موفورة الكرامة، عزيزة الجانب، مرهوبة القوة، عظيمة الشوكة، لكنها أضاعت أمر الله، وأقصدت شريعته من حياتها، وهذه الأمة أمة التوحيد فصار أمرها إلى إدمار وعزها إلى ذل، وجثم على صدرها ليل طويل من الاستعمار الكافر، ولولا أنها الأمة الخاتمة لأصبحت تاريخاً دابراً تحكيه الأجيال. وليس الذي حل بنا ويحل ظلاماً من ربنا، كلا وحاشا، فهو القاتل في الحديث القدسي الصحيح: { يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم

محرمًا فلا تظالموا }، وإنما هي السنن الربانية النافذة التي لا تحابي أحداً، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ(11) { [الرعد]، وقال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ(53) { [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان مرفوعاً: { يوشك أن تداعى عليكم الأمم

من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها}، قلنا: يا رسول الله، أمن قلة منا يومئذٍ؟ قال: {أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن}، قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت}. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: {إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذنان البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليهم ذلاً لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم} [رواه أبو داود وأحمد]. ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: {إننا كنا قوماً أذلة فأعزنا الله بهذا الدين، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله}

3- زوال النعم وحلول النقم وتحول العافية وأستجلاب سخط الله:

ما زالت نعمة إلا بذنب ، ولا حلت نقمة إلا بذنب كما قال علي رضي الله عنه: (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة)
ورحم الله القائل :

إذا كنت في نعمة فأرعاها فإن المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد فرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت فظلم العباد شديد الوخم
و سافر بقلبك بين الوري لتبصر آثار من قد ظلم

وتأمل حال هذه القرية كيف تحول حالهم من أمن إلي خوف ، ومن رغد إلي جوع ، فقال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)} [النحل]

وكان من أعظم الدعوات التي دعا بها النبي (ﷺ) كما روي ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله (ﷺ) يقول: { اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نعمتك وجميع سخطك} [أخرجه مسلم].

4- ظهور الأوجاع الفتاكة وارتفاع البركة من الأقوات والأرزاق:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): {يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواغيت والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم} [رواه ابن

ماجه وهو صحيح. السلسلة الصحيحة]

5- المعصية سبب شيوع الفساد :

والمعاصي سبب للفساد في الأرض في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن، قال تعالى { **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)** } [الروم].

والمراد بالفساد الذنوب وموجباتها، وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة.

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الفوائد: (اقشعرت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكى الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد أدلهم ظلامه، فاعدلوا عن هذا السبيل (سبيل المعاصي) بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح، وكأنكم بالباب وقد أغلق وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

العنصر السادس : علاج الذنوب والمعاصي:

هذه بعض آثار المعاصي المدمرة، وهذه بعض ثمارها النكدة، فهيا إلي العلاج والتخلص منها حتي نحظي برضا الله تعالى ونفوز بمحبتة جل وعلا ، ومن هذا العلاج :

1- التوبة النصوح :

فهل من مشير تائب منيب، قال تعالى { **قُلْ لِيَعْبُدِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)** } [الزمر].

والتوبة هي: الندم على ما فات، والعودة إلى الله، واللجأ إليه، والصدق معه سبحانه وتعالى ، فيامن تعصي ربك وقد ضيعت أيامك بالهلو والتفريط والميل - إذا دنى منك الأجل! فهل من توبة قبل الموت؟

وهل من رجوع إلى الله قبل فوات؟

الأوان وهل من يقظة لإعادة المحاسبة؟

ها هم بنو إسرائيل - كما في كتاب التوابين لابن قدامة - يلحق بهم قحط على عهد كليم الله موسى عليه السلام، فاجتمعوا إلى سيدنا موسى وقالوا: يا نبي الله! ادغ لنا ربك أن يسقينا الغيث.

فقام معهم، وخرجوا إلى الصحراء ليستسقوا وهم سبعون ألفاً أو يزيدون، فقال موسى: إلهنا اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرضع، والبهائم الرضع، والشيوخ الرضع، فما ازدادت السماء إلا تقشعاً، ذهب السحاب الذي في السماء، وما ازدادت الشمس إلا حرارة، فقال: يا رب! استسقينك فلم تسقنا، فقال: يا موسى إن فيكم عبداً يبارزني بالمعصية منذ أربعين عاماً، فمُرّه أن يخرج من بين أظهركم؛ فبشؤم ذنبه مُنِعتم القطر من السماء، قال: يا رب! عبد ضعيف، وصوتي ضعيف، أين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه، منك النداء وعلينا البلاغ. فقام ينادي في سبعين ألفاً، قائلاً: يا أيها العبد العاصي الذي بارز الله بالمعصية أربعين عاماً!

أخرج من بين أظهرنا؛ فبشؤم ذنبك مُنِعنا القطر من السماء، فيوحي الله إلى موسى أنه تلفت هذا العبد يميناً وشمالاً لعله يخرج غيره، فعلم أنه المقصود بذلك، فقال في نفسه: إن خرجت افتضحت على رعوس بني إسرائيل، وإن بقيت هلكت وهلكوا جميعاً بالقطط والجذب.

فما كان منه إلا أن أدخل رأسه في ثيابه، وقال: يا رب! عصيتك أربعين وأمهلتني، واليوم قد أقبلت إليك طائعاً تائباً نادماً، فاقبلني واسترني بين الخلق هؤلاء يا أكرم الأكرمين!

فلم يستتم الكلام حتى علت السماء سحابة بيضاء، فأمرت كأفواه القرب، فقال كلهم الله لربه: يا رب! سقيتنا ولم يخرج من بين أظهرنا أحد. فقال: يا موسى! أسقيتكم بالذي منعتكم به - بنفس العبد الذي منعتكم به أسقيتكم به قال: يا رب! أرني هذا العبد الطائع التائب النادم، قال: يا موسى! لم أكن لأفضحه وهو يعصيني أفأفضحه وهو يطيعني؟!

لا إله إلا الله! ما أرحم الله! ما أحلم الله! هو القائل: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)} {آل عمران}. ما جزاؤهم؟ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعيم أجر العاملين (136)} {آل عمران}.

هو القائل كما أخبر المصطفى (ﷺ) في الحديث القدسي: {يا بن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا بن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة} [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].
فالله تعالي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء

الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، هو القائل كما في الحديث القدسي: {يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم} هو القائل في كتابه: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ(8)} [التحرير].

فيا مخطئاً! وكلنا ذوو خطأ، ويا من سقط في المعصية! وكلنا ذاك الرجل؛ ويا من زلّت قدمه! وكلنا ذاك الرجل؛ صحح أخطاءك، وعالج أمراضك، وغسل نفسك مما قد ران عليها، واستأنف الحياة في ثوب التوبة النقي النظيف، واسمع لداعي الله جل وعلا يوم يقول: {وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(31)} [النور]

2- استشعار عظمة الله:

كما قال بعض السلف: {لا تنتظر إلى صغر المعصية ولكن انظر عظمة من عصيت، فإن حدثتك نفسك بالمعصية فقل لنفسك أتدريين من تعصين ؟} إنه الله جل في علاه.. إنه الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.. إنه الله الذي له ملك السماوات والأرض.. إنه الله الذي بيده مقاليد الأمور.. إنه الله الذي تسبح له الكائنات وتخضع له السماوات.

تذكر اسم الرقيب {وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا(52)} [الأحزاب]

فالله يراقبك ويعلم بحالك ويراقب تحركاتك ونظراتك وسمعك وقلبك {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ(51)} [الأحزاب]

فاذا دفعتك نفسك للذنوب فقل لنفسك: " إن الله يراني "

واحذر من أن تكون من هؤلاء: قال رسول الله (ﷺ) {ليأتين أقوام من أمتي بحسنات أمثال جبال تهامة يجعلها الله هباء منثوراً. قال الصحابة: منهم يا رسول الله ؟ قال: أما نهم مثلكم يصلون كما تصلون ويصومون كما تصومون ولهم من الليل مثل مالكم ولكنهم إذا خلو بمحارم الله انتهكوها } . [صحيح الترمذي والترهيب] .

3- المجاهدة:

لا تظن أن ترك المعصية يكون بين يوم وليلة.. إن ذلك يحتاج إلى مجاهدة وصبر ومصابرة، وأن تكون صاحب إرادة قوية لكي تقوى على ترك الذنوب والشهوات، ولكن اعلم أن المجاهدة دليل على صدقك في ترك الذنوب وربنا تبارك وتعالى يقول {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(69)} [العنكبوت].

4- الحذر من رفيق السوء:

فإن بعض الشباب يريد ترك المعصية ولكن صديقه يدفعه، فعلينا أن نتذكر تحذير النبي (ﷺ) من أصدقاء السوء قال: {مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل

المسك ونافخ الكير . [رواه البخاري ومسلم].

وفي حديث آخر. رواه أحمد وغيره أن النبي (ﷺ) قال: **{ المرء على دين خليله فليُنظر أحدكم من يخالل } .**

ومع ما يمكن أن يجلب أصدقاء السوء لمن يصحبهم، فإنهم يتبرؤون يوم القيامة ممن يصادقهم ويعادونه، قال تعالى: **{ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ }** [الزخرف] (67)

فوصيتي لك: " ابتعد عن صديق السوء قبل أن تكون ممن قال الله فيهم **{ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29) }** [الفرقان] .

5- معايشة حقيقة الموت:

قال تعالى **{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (185) }** [آل عمران] فهل تخيلت أن الموت قد يأتيك وأنت تنظر إلى القنوات؟
لو جاءك الموت وأنت تكلم تلك الفتاة؟
يا ترى لو فاجأك الموت وأنت نائم عن الصلاة؟
حينها ماذا تتمنى؟

{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ } [المؤمنون] (100)

إنه يتمنى الرجوع إلى الحياة لا ليستمتع بها ولا ليسهر على القنوات بل ليعمل صالحاً.. نعم ليتوب.. ليصلي.. ليترك المحرمات.

وتذكر عندما توضع على مغسلة الأموات عندما لكي يغسلونك وأنت جثة هامدة لا تتحرك وهم يحركونك، هناك لن تنفك الذنوب ولا السيئات.
وتذكر عندما تحمل على الأكتاف سوف يحملونك وأنت جنازة، فيا سبحان الله!!

أين قوتك ؟

أين شبابك ؟

أين كبرياءك ؟

أين أصدقاؤك؟؟

لن ينفعك هناك إلا عمل صالح قد فعلته.

و تذكر عندما توضع في القبر هناك يترك الأهل والأصحاب ولكن أعمالك ستدخل معك في قبرك..

فيا ترى ما هي الأعمال التي ستكون معك في قبرك..

هل هي القنوت؟ والملهيات؟ والصور والمجلات؟.

6- معايشة يوم القيامة :

قال تعالى { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ (281) } [البقرة]
سوف تقف بين يدي الله يا من يسهر على القنوت.. نعم والله ستقف يا من ينام عن الصلوات.. يا من يسافر إلى بلاد الأثام.. { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) } [الحاقة].

أهناك من ينفحك؟ أهناك من ينصرك؟

أنسيت ذلك الموقف؟ { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223) } [البقرة].

وتذكر المرور على الصراط.. ذلك الجسر الذي يوضع على متن جهنم..

" أحد من السيف وأدق من الشعرة "

قال تعالى: { وَإِنْ مِنْكُمْ إِذَا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) } [مريم].

قال العلماء: هذه الآية دليل على المرور على النار؛ هناك تضع قدمك لكي تعبر عليه والنار من تحتك والمكان مظلم ، والناس يتساقطون ويصيحون ويكون.

ومن الناس من يثبته الله على الصراط لأنه " كان ممن يراقب الله ويخاف من الله

ويعمل بطاعة الله ويتعد عن معصية الله قال تعالى: { بُيِّنْتُ لِلَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ (27) } [إبراهيم].

هناك تعرف قيمة الصلاة وقيمة الحسنات، في ذلك المكان تندم على كل نظرة وعلى كل كلمة لا ترضي الله هناك تبكي ولكن لا ينفك البكاء.

وتذكر الميزان الذي يوضع يوم القيامة، وتوزن فيه الحسنات والسيئات.. إنه ميزان

دقيق { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ

مِنْ حَرْدَلٍ أُنْتَبِهَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (47) } [الأنبياء].

يا ترى هل تفكرت في هذا الميزان أخي الشاب؟ وأنت يا أختاه هل حاسبت نفسك

على ذنوبك التي ستوضع في ذلك الميزان؟ { فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

(102) } [المؤمنون].

إنهم الذين حافظوا على طاعة الله.. إنهم الذين ابتعدوا عن الذنوب والعصيان...

{ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) }

[المؤمنون] إن الذي خف ميزانه هو الذي أساء في تعامله مع ربه.. هو الذي أعرض

عن ربه.. هو الذي كثرت سيئاته وقلت حسناته.

و تذكر الحوض الذي يكون لنبينا (ﷺ) ؛ طوله شهر وعرضه شهر، أحلى من

العسل وأبيض من اللبن، وأطيب من المسك، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها

أبداءً، إن ذنوبك قد تمنعك من الشرب من ذلك الحوض، فاترك الذنوب الآن. وتذكر شهادة الجوارح عليك..

تذكر يا أخي قبل أن تفعل أي معصية أن الجوارح التي سوف تعمل المعصية بها أنها ستشهد عليك وستفضحك ليس هنا بل في أرض المحشر { **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)** } [يس].

يا سبحان الله.. من أنطق البدان؟ من أنطق القدمان؟ إنه الله جل في علاه.. وقال تعالى { **حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20)** } وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ (21) } [فصلت].

فلا إله إلا الله ما أعظم الله.

وتذكر كتابة الملائكة لأعمالك، فالملائكة تكتب أعمالك وأقوالك كما قال تعالى { **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)** } [الانفطار] . ولا يخفى عليهم شيء، وتستمر الملائكة في كتابة أعمالك حتى تخرج روحك من الحياة، وبعدها تموت.. ينتهي كتابك ولكن لك موعد معه في أرض المحشر عندما تُعطى ذلك الكتاب ويقول الله لك { **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)** } [الإسراء].

وتذكر لو كنت من أهل النار يوم تقلب في النار، قال تعالى { **يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (66)** } [الأحزاب]. يا سبحان الله أين مكانهم؟! في النار، يتقلبون على النار، أين وجوههم؟ على النار.

نعم.. تلك الوجوه التي كانت تنظر إلى الحرام.. تلك الأجساد التي لم تتقرب إلى الله سوف تتقلب في النار وبئس المصير.

وتذكر حقارة الدنيا { **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ (185)** } [آل عمران] . فكيف تؤثر الدنيا الحقيرة على الآخرة الباقية التي لانهاية لها، كيف تعمل معصية قد تحرمك من جنة عرضها السماوات والأرض . فاللهم حرم أجسادنا علي النار. وجنبتنا المعاصي ما ظهر منها وما بطن . اللهم آمين .

انتهت بفضل الله تعالى